ليالي رمضان
في العصور الإسلامية
تأليف
العلامة الدكتور مصطفى جواد
دراسة وتحقيق
الأستاذ الدكتور محمد كريم الجميلي

ليالي رمضان في العصور الإسلامية

حقوق الطبع

ليالي رمضان
في العصور الإسلامية

تأليف

العلّامة الدكتور مصطفى جواد

دراسة وتحقيق

الأُستاذ الدكتور محمد كريم الجميلي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لرمضان أهمية وقدسية عظيمة في نفوس المسلمين، وعظمته من تعظيم الله له، فهو الشهر الذي خصَّه الله تعالى من بين الشهور، وفيه ليلة خصَّها الله تعالى من بين لياليه، وقد اكتسب قداسته من الكتاب والسنَّة. ففيه نزل القرآن وفيه انتصر المسلمون في أول معركة يخوضونها ببدر وفيه تُضاعف الأُجور والحسنات وتُرفع الدرجات ويعمّ السرور وتنشرح الصدور وتكثر أعمال الخير إظهارًا وتعظيمًا لشعيرة من شعائر الله.

وقد عُرِفَ عن العلّامة مصطفى جواد أَنَّه لم يترك فنًّا من الفُنون إلّا وخاض فيه، وشغلت التقاليد الاجتماعية والشعبية في المناسبات الدينية وغيرها حيّزًا كبيرًا من أَبحاثه ومؤلَّفاته نشرها في مجلّات محلية وعربية، فقد كانت له مقالات منتظمة في مجلّات كثيرة ومنها مجلة «التراث الشعبي» العراقية المعروفة بأصالتها في ذكر كل ما يخص طبائع الناس وعاداتهم ومناسباتهم وأزيائهم، فضلًا عن شؤون المجتمع العراقي بصورة عامة والبغدادي بصورة خاصة. ولعلَّ بعض المفردات التي كان يضعها باللهجة العامِيَّة في بعض كتبه لتوكِّد هذا المعنى أَنَّه ينتمي لهذا البلد ومدينته الخالدة.

لقد تناول المؤلِّف موضوع كتابه من ناحيتين: دينية واجتماعية، لا سيما وضع الفقراء والمحتاجين وإبراز صدقات الميسورين من الأُمَّة على امتداد أزمانها لا سيما عصر الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وكذلك الخلفاء فضلًا عن

الوزراء والأَعيان، ونبَّه المؤلف فيه إلى دور خليفة المسلمين في تحمُّل مسؤولياته في حثِّ الرعيَّة على أداء الفروض والعبادات.

وكذلك استعرض حالة المساجد وما استجدَّ فيها من إنارة وتنظيم لتيسير الوصول إليها لأَداء الصلوات لا سيما التراويح، وإنشاء دور الضيافة الرمضانية لإفطار الصائمين التي كان يقيمها الميسورون وذكر موائدهم وأَنواع أَطعمتهم مما يُقدَّم إلى الفقراء والمساكين في هذا الشهر الكريم. وقد ركَّز المؤلف على الناحية الاجتماعية للعامَّة في رمضان فهي الطبقة التي تُسلَّط عليها الأضواء دائمًا كونها مَدار الحدث في كتب التواريخ. وقد نبَّه المؤلف إلى أَنَّ موضوع رمضان وليالِيه هو حالة من حالات التمدُّن الإسلامي وليس شعيرة دينية فقط؛ وذلك لما فيه من إشاعة أجواء الفرح والتعاطف والتكافل بين كل شرائح المجتمع.

والكتاب وإنْ كان صغيرًا في حجمه لكنَّه مهمٌ في موضوعه، لاستعراضه عادات اجتماعية طيِّبة تكاد تجتمع عليها كلّ البلاد الإسلامية وتحتفي بها في كلِّ عام، فضلًا عن تنوّع أَخباره وفنونه وطرافة بعضها. ولكون المؤلِّف - مصطفى جواد - أَديب لامع فهو يستخدم أُسلوبه الفني الرفيع في اختيار الكلمات والمفردات التي تليق بكلِّ فقرة منه ويأتي بأَبيات شعرٍ تُناسب الموقف يستشهد بها ويجمِّل به المعنى وهذا شأنه في سائر مؤلفاته أَنْ يكون للشعر نصيب وافر فيها. وقد أَتحفنا بأشعار بعض مُتقدِّمي الشعراء مثل أبي دلامة والحيص بيص وغيرهم.

وكان للنقد دور ولو بصورة مقتضبة في الكتاب كون المؤلِّف أَيضًا ناقدًا مرموقًا، فهو يذكر بيت شعر منسوب إلى الفرزدق ويشكِّك فيه ويقول: «ولا أَظنَّه صحيحًا» وهو:

يـا صـدق مـن قـال أَيـامٌ مُباركـةٌ إنْ كان يكنى عن اسم الطول بالبركة

ومن المفيد أنْ نذكر أَنَّ الكتاب يقع ضمن كتاب آخر للمؤلِّف وعنوانه ومضمونه يختلف تمامًا عن الكتاب الأَصل، ولذلك تمَّ فصلهم كُلٌ حسب موضوعه. ولأجل ذلك جاء الكتاب الحالي بعنوان واحد فقط دون تقسيمه لفصول أَو عنوانات، حيث سرد المادة فيه سردًا دون أَنْ يخلّ ذلك في المضمون.

وقد تمَّ تقسيم الكتاب إِلى مبحثين: تضمن الأَول التعريف بالكتاب ونسبته إلى مؤلِّفه، ثم وَصْف الكتاب وسبب تأليفه، ثمَّ منهج المؤلِّف في الكتاب والمنهج الذي اعتمدته بالتحقيق. أَمّا المبحث الثاني فكان بعنوان «النص المحقق» ثم سردت قائمة للمصادر والمراجع المستخدمة فيه.

أَسأَل الله العظيم ربّ العرش العظيم التوفيق والسداد والاخلاص في القول والعمل، وأَنْ يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

المبحث الأَوَّل: التعريف بالكتاب ونسبته إِلى المؤلِّف

كتاب «ليالي رمضان في العصور الإِسلامية» أَحد مؤلَّفات العلّامة الدكتور مصطفى جواد. الذي لم يترك مناسبة أَو ذكرى دينية اجتماعية إلّا وذكرها وخاض فيها. والكتاب صحيح النسبة له وموجود ضمن مكتبته التي تبرعت بها عائلته بعد وفاته إِلى دار المخطوطات العراقية، ووضع تحت رقم (٤٥٧١٥) ويقع ضمن مؤلَّف أَدبي آخر له وهو «أدبنا وتأريخنا» - بتحقيقنا - وبهذا يكون قد جمع كتابين بغلاف واحد، وذلك لما عُرِف عن مصطفى جواد أَنه يستغل كل فراغ يُتاح له في الدفتر للكتابة فيه وعلى طريقة الأَقدمين بوضع حاشية أو فائدة أو لطيفة مع المخطوط الأصل وذلك لاستغلال كلّ جزء من الورقة التي يكتب فيها موضوعه.

وصف الكتاب وسبب تأليفه

يقع الكتاب في عشرين لوحة متوسطة الحجم، وهو دفتر مدرسي قديم يعود إِلى خمسينيات القرن المنصرم، وهذه الدفاتر كانت شائعة أبان تلك الحقبة ولذلك نرى أَنَّ أَكثر كتابات مصطفى جواد فيها. وقياس الورقة منه هي ٢٠ × ١٥ سم، واللوحة تحتوي على ٢٠ سطر، والسطر الواحد يحتوي على ١٠ – ١٣ كلمة تقريبًا. وقد أعطى المؤلِّف كتابه ترقيمًا متسلسلًا من ١ – ٢٠.

أول المخطوط يبدأ بـ (إنَّ الموضوع الذي سأحدثكم عنه، وهو ليالي رمضان في العصور الإسلامية، من الموضوعات الجديدة....). وآخر المخطوط ينتهي بـ (وقال في جماعة من الصوفية أَضافهم فأَكلوا جميع ما قدَّمه لهم فكتب إِلى شيخهم أَبياتًا يذكر فيها حاله معهم وهي:

مولاي يا شيخ الرباط الذي ... أَبان عن فضلٍ وعلياء

إِليك أَشكو جوع صوفية ... باتوا ضيوفي

منهج المؤلف في الكتاب

١ - اتبع المؤلف في كتابه التسلسل الزمني في ذكر الأَحداث. فهو يبدأ بعصر الخلفاء الراشدين ثم العصر الذي يليه وهكذا.

٢ - سرد المؤلف الحوادث التاريخية مُستعينًا بكبار الأُدباء والبلغاء الذين ذكروا ليالي رمضان وما فيها من أحداث، مثل رسائل الصابي وما تضمنته من أُسلوب أَدبي بليغ ورفيع في وصفه لتلك الليالي.

٣- المؤلِّف يترضَّى عن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كلَّما ورد ذكرهم.

٤ - أَضاف المؤلِّف بعض المواقف الطريفة لشخصيات مختلفة وما حدث لها في شهر الصيام.

٥ - أَكثرَ المؤلِّف من استخدام الشعر لكبار شعراء العصر العباسي.

٦ - المؤلِّف يوضح القيمة الحالية لبعض مصطلحات الموازين القديمة كما في الورقة (١٠) ويقول: (وكان يُقَدِّم في طبقه الرمضاني في كلِّ ليلة أَلف رطل من الخبز وأَربعمائة رطل من الحلاوة السُكريَّة وكان الرطل يوازن الكيلو تقريبًا).

٧- المؤلِّف يُفسِّر بعض الظواهر الاجتماعية ويتعرَّض لفسيولوجية جسم الإنسان زيادة في الفهم كقوله في الورقة (١٦): (وكان الناس يجدون صعوبة في الاستيقاظ للتسحُّر وخصوصًا الذين يملؤون بطونهم من أَنواع الأَطعمة فتصعد أَبخرة المعدة إلى رؤوسهم وينامون نومًا ثقيلًا).

٨- المؤلِّف ينعت بعض الشعراء بما كانت عليه أخلاقه وصفاته من خلال شعره كقوله في الورقة (١٩): (وقال الفاسق علي بن بسّام الشاعر الهازل الهجّاء).

٩- المؤلِّف يفصِّل في اسم المؤرخ ولقبه ويذكر اسم كتابه حتى لا يلتبس الاسم على القارئ مثل قوله في الورقة (١٦) وهو الذي قال فيه ابن الأَثير نصر الله في كتابه «المثل السائر».

١٠- المؤلِّف يعطي تفاصيل وافية عن صاحب بعض الروايات، وذلك بذكر اسمه ولقبه واسم كتابه والقرن الذي عاش فيه كقوله في الورقة رقم (١٥): (وقال علي بن الشابشتي في كتاب «الديارات» وهو من أَهل القرن الرابع).

منهجي في التحقيق

١- بالنظر لعدم وجود نسخة ثانية للمخطوط فقد تم مقابلة ما ورد في المتن مع المصادر التي استقى منها المؤلف مادته.

٢- اعتنيت بالنص عناية بالغة لإخراجه بأَقرب صورة له وكما أرادها مؤلِّفه.

٣- صَحَّحت بعض الأَخطاء اللغوية والإملائية التي وقع بها الناسخ.

٤- عرَّفتُ ببعض الأَماكن الواردة وترجمت لبعض الشخصيات والمدن التي وردت ولم أُترجم للمعروفة والمشهورة.

٥- عزوت الأَقوال لأَصحابها والأَشعار لقائليها وخرّجتها من مَضانِّها.

٦- تم إلحاق بعض الصور من المخطوط لتأكيد صحته.

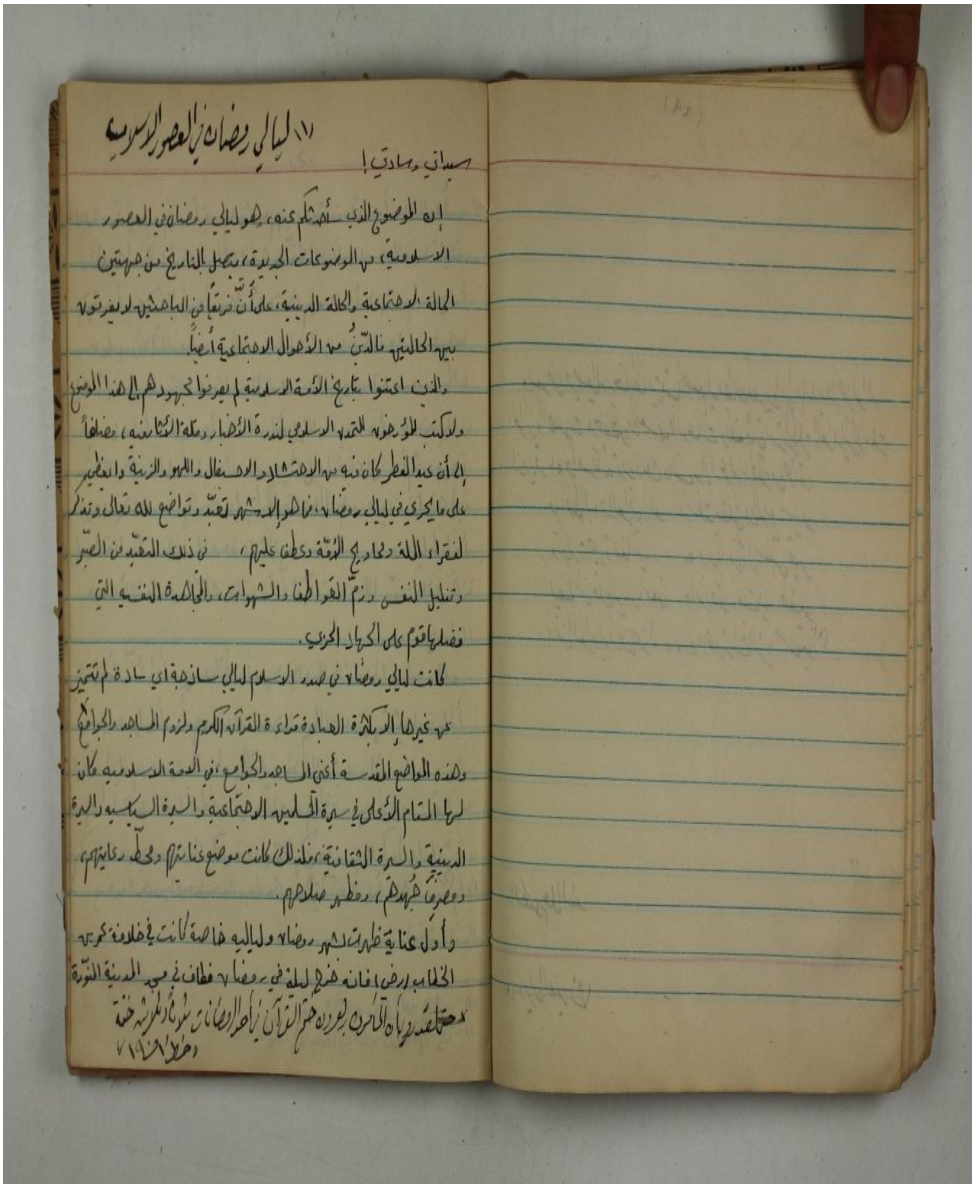

ليالي رمضان في العصور الإسلامية

سيداتي وسادتي!

إن الموضوع الذي أتحدث عنه، هو ليالي رمضان في العصور الإسلامية، من الموضوعات الجديرة، بتسجيل المتابع من شهريتين الحالة الاجتماعية والحالة الدينية، على أن نتناول في الحالتين الاجتماعية والدينية، ما كان من الأحوال الاجتماعية أيضاً.

والذين اعتنوا بتاريخ الأمة الإسلامية لم يعيروا جهودهم إلى هذا الموضوع، ولكنت لو رجعوا إلى المصدر الإسلامي لمدة الأعياد، وهي الكتابة عنه، فضلاً إلى أن كبد الفطر كان فيه من الاحتفال والاستعداد واللهو والزينة والتغيير على ما يجري في ليالي رمضان، فما هو الشهر تتعبد وتتواضع لله تعالى وتذكر لقراءة الليلة وتحاريج الزكاة وتطعم فيه، في ذلك المتعبد من الصبر وتذليل النفس وزم القوى الطبيعية والشهوات، والمكافحة التي فضلها تقوم على الجهاد الحربي.

كانت ليالي رمضان في صدر الإسلام ليالي ساذجة أي سادة لم تتميز عن غيرها إلا بالزيادة في العبادة وتلاوة القرآن الكريم ولزوم المساجد والجوامع ولهذه المواضع المقدسة أعني المساجد والجوامع في الأمة الإسلامية مكان لها التمام الأكمل في سيرة المسلمين الاجتماعية والسياسية والدينية والسيرة الشعائرية، لذلك كانت موضع عنايتهم ومحل رعايتهم ومصرف جهودهم، ومظهر عملهم.

وأول عناية ظهرت لشهر رمضان وليالية خاصة كانت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه فضل ليلة في رمضان فطاف في مسجد المدينة المنورة ومعه عبد الرحمن بن عبد القاري ليورده من القرآن في أواخر رمضان سورة المزمل فختم

اللوحة الأولى من المخطوط وعليها العنوان

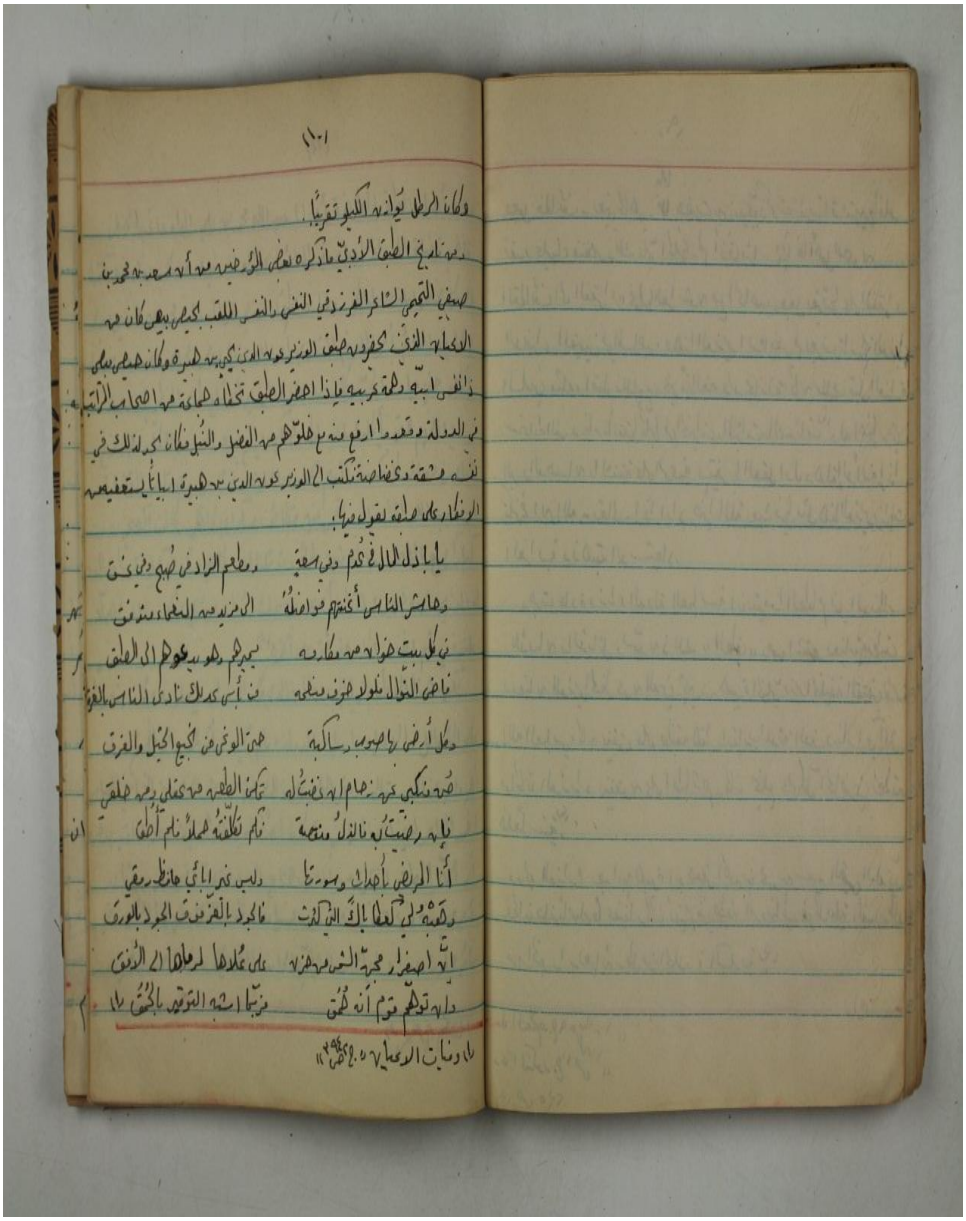

اللوحة رقم (١٠) من المخطوط

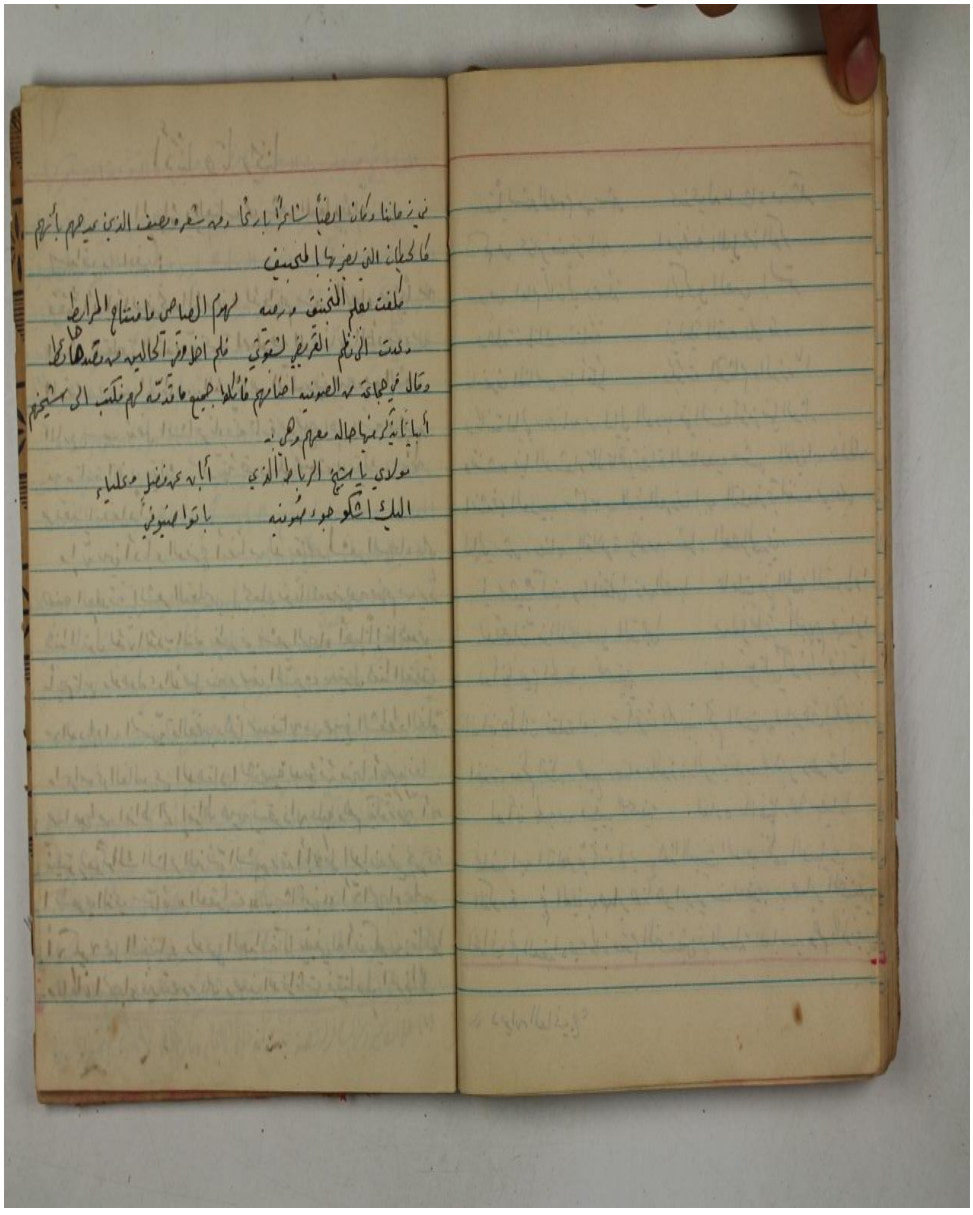

اللوحة الأَخيرة من المخطوط

المبحث الثاني: النص المحقق

[ق١] سيداتي وسادتي:

إنَّ الموضوع الذي سأُحدثكم عنه، وهو ليالي رمضان في العصور الإسلامية، من الموضوعات الجديدة، يتصل بالتاريخ من جهتين: الحالة الاجتماعية والحالة الدينية، على أَنَّ فريقًا من الباحثين لا يفرّقون بين الحالتين، فالدين من الأَحوال الاجتماعية أيضًا.

والذين اعتنوا بتاريخ الأُمَّة الإسلامية لم يصرفوا مجهودهم إلى هذا الموضوع ولا كتب المؤَرخون للتمدُّن الإسلامي لندرة الأَخبار وقلَّة الآثار فيه، مُضافًا إلى أَنَّ عيد الفطر كان فيه من الاحتشاد والاحتفال واللهو والزينة ما يغطي على ما يجري في ليالي رمضان، فما هو إلّا شهر تعبُّد وتواضع لله تعالى وتَذَكُّر لله تعالى في فقراء ومحاويج الأُمَّة وعطفٌ عليهم.....[(١)] في ذلك التعبُّد من الصبر وتذليل النفس وزَمِّ العواطف والشهوات، والمجاهدة النفسيَّة التي فضَّلها قومٌ على الجهاد الحربي.

كانت ليالي رمضان في صدر الإسلام ليالي ساذجة - أَي سادة[(٢)] - لم تتميز

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة وعلى ما يبدو أنَّ الناسخ لم يفهمها من المؤلف وتركها فارغة على أمل أنْ يعود إليها.

(٢) يوضح المؤلِّف بعض المفردات باللهجة العراقية لتبسيطها على القارئ.

عن غيرها إلّا بكثرة العبادة، قراءة القرآن الكريم ولزوم المساجد والجوامع، وهذه المواضع المقدَّسة أَعني المساجد والجوامع في الأُمَّة الإسلامية كان لها المقام الأعلى في سيرة المسلمين الاجتماعية والسيرة السياسية والسيرة الدينية والسيرة الثقافية، فلذلك كانت موضع عنايتهم ومحطّ رعايتهم ومَصرف جُهدهم ومُظهر صلاحهم.

وأَوَّل عناية ظهرت بشهر رمضان ولياليه خاصَّة كانت في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنَّه خرج ليلة في رمضان فطاف في مسجد المدينة المنورة [ق٢] ورأى الناس أَوزاعًا[(١)] مُتفرّقين، فمنهم مَنْ يُصلِّي ويقرأ ومنهم يُصَلُّون جماعات قليلة، فقال: «والله إنِّي لأَظُنُّ لو جمعنا هؤلاء على قارئٍ واحدٍ لكان أَمثل»[(٢)]. ثم عزم على أَنْ يجمعهم على قارئٍ واحد، وأَمر أُبيّ بي كعب[(٣)] أَن يقوم بهم في رمضان خاصَّة، فخرج ذات ليلة من ليالي رمضان والنَّاس يُصلُّون في المسجد بصلاة قارئهم فقال: «نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عليها أَفضل من التي يقومون فيها»[(٤)] - يعني آخر الليل -.

---

(١) أوزاعًا: الضروب المتفرقين.

الأزهري، تهذيب اللغة، ٣/ ٦٤.

(٢) المقريزي، إمتاع الأسماع، ٢/ ٢٤١.

(٣) هو أُبَيّ بن كعب بن قيس الأنصاري، شهد العقبة وبدرًا، وكان عمر يقول: أُبيّ سيد المسلمين، روى عنه عبادة بن الصامت وابن عباس، وهو أول من كتب للنبي في مقدمه للمدينة، توفي في خلافة عمر وقيل في خلافة عثمان.

ابن الأثير، أسد الغابة بمعرفة الصحابة، ١/ ١٦٨.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٨/ ٥٨٧.

وكان الناس يُصَلُّون في أَوَّله دون آخره. ثم أمر بزيادة قناديل المسجد فازدادت أَنوارها وطاب التعبُّد فيها، حتى لقد روي[١] عن بعض الصحابة الكرام أَنَّه خرج بعد وفاة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَول ليلة من شهر رمضان فسمع القراءة من المساجد ورأى القناديل تزهُر، فقال: نوَّر الله على قبره كما نوَّر مساجدها[٢]. وهذا مَنشأ صلاة التراويح.

ولما وصلت الخلافة إِلى علي بن أَبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى أَنَّ الفقراء لا يأكلون ما يشتهون من اللحم - عدم استطاعة منهم - فأَنشأ ديار ضيافة في رمضان. وكان يُعشِّي الناس فيها باللحم ولا يتعشَّ معهم، فاذا فرغوا من العَشاء خطبهم ووعظهم. ومما روي من خطبة له ذا ليلة قوله لهم: «إِنْ مَلاكَ أمركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الأَدب وحصون أعراضكم الحلم»[٣]. وهذه جُمَل تحمل كثيرًا من الآداب الإِسلامية ليس هذا موضع الاضافة فيها.

[ق٣] وفي خلافة المأمون زادت العناية بليالي رمضان، وكان الناس يشكون قلَّة النور في المساجد والجوامع، فأَمر المأمون كاتبه عمرو بن مسعدة[٤] بأَنْ يكتب إِلى الولاة والعمّال في الآفاق والأَقطار في الاستكثار من القناديل في شهر رمضان فلم يدرِ كيف يكتب، فأَتاه آتٍ في المنام وهو عقله الباطن فقال له:

---

(١) في الأصل (ردني)، والصحيح ما أُثبت.

(٢) ابن المبرد الحنبلي، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٢٤٩

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٠/ ١٥٣.

(٤) هو أبو الفضل عمرو بن مسعدة بن سعيد الصولي، أحد كُتّاب المأمون البلغاء وكان فصيحًا مفوَّهًا جوّادًا، خدم المأمون طويلًا، وكان له منزلان ببغداد، وله حكايات ظريفة مع المأمون، توفي بأَذَنَة سنة ٢١٧هـ.

ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ١١/ ٦.

«يا عمرو بن مسعدة أُكتب فإنَّ في القناديل أُنسًا للسابلة وضياءً للمتهجِّدين[١] وتنزيهًا لبيوت الله من وحشة الظُلَم ومكامن الريب»[٢].

ولما بلغت الدول الإسلامية مرتبة التنظيم والكمال في أُمورها وشؤونها كان أَمر المصابيح الجامعية والمسجدية موكولًا إِلى ناظر المساجد والجوامع الذي يُنصِّبه الخليفة نفسه ويكتب له عهدًا، ومن ذلك ما نرى في عهد الخليفة المطيع لله العباسي[٣] إلى القاضي أَبي القاسم عمر بن حسّان بن الحسين البغدادي سنة ٣٥٤هـ من إنشاء الكاتب[٤] البليغ فخر الصابئة أَبي إسحاق الصابي[٥] يقول فيه:

---

(١) في الأصل (المهجدين)، والتصحيح من المصادر.

(٢) الثعالبي، خاص الخاص، ص٨.

(٣) هو أبو القاسم الفضل بن المعتضد، بويع له بالخلافة عند خلع المستكفي سنة ٣٣٤هـ وكان مُستضعفًا من بني بويه، تنازل عن الخلافة لابنه الطائع بسبب فالج أصابه، وكانت خلافته ٢٩ سنة، مات سنة ٣٦٤هـ.

السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٢٨٦.

(٤) شغلت رسائل الصابي حيزًا كبيرًا عند الأدباء في عصره والعصور اللاحقة لما تضمنته من بلاغة وفصاحة وامتدحه ياقوت الحموي في معجمه وسرد شعرًا لبعض أهل عصره فقال:

أصبحت مُشتاقًا حليف صبابةٍ ... برسائل الصابي أبي إسحاقِ

صوب البلاغة والحلاوة والحجى ... ذوب البراعة سلوة العشاقِ

لا يبلغ البلغاء شأو مبرَّز ... كتبت بدائعه على الأحداقِ

(٥) هو ابراهيم بن هلال بن زهرون أبو إسحاق الحراني الصابي، أوحد الدنيا في إنشاء الرسائل، ولد ببغداد ونشأ على ديانة الصابئة الحرانيين، خدم الخلفاء والأمراء من بني بويه لا سيما عزّ الدولة وأصبح على ديوان الرسائل، ثم نقم عليه عضد الدولة بسبب مكتوباته عن الخليفة وسجنه، ورغم أنه لم يُسلم ولكنه كان يحفظ القرآن ويصوم رمضان موافقة للمسلمين وحُسن عشرة منه لهم، مات سنة ٣٨٤.

«أَمّا بعد فَلأَنَّ أَمير المؤمنين مُنصرف الاهتمام فيما وكَّله الله إليه من أُمور الإسلام حتى تستتمَّ على السَّداد وتَتَّسق على الاستقامة والاطراد، ولذلك لا يزال يطلب لها ثُقات الأَعوان وكُفاة أَهل الزمان، الذين أَنت فيهم بحمد الله مبَرَّز وممّا أَخَّرك عنهم مُتحرِّز بمذهبك الذي استشفه أَمير المؤمنين وخَبَره واستبراه وسَبَرهُ، ووجده سليمًا من العيب، بريئًا من الريب، خاليًا من القدح، مُشتملًا على الأَمانة والنُصح. ولما كنت عند أَمير المؤمنين بهذا الوصف الجميل وكانت الجوامع بمدينة السلام من المهم الجليل، رأى [ق٤] تفويضها إِليك والاعتماد فيها عليك لما تخيله في ذلك من الصلاح وأَمَّلَهُ من عائدة النجاح والفلاح والله - تعالى - يُخيِّرُ لأَمير المؤمنين فيما دبَّره ويجري أَمر هذه المساجد بنظرك على ما قدَّره.

فتولَّ ما أَراكَ أَمير المؤمنين له أَهلًا، ويرجو أَنْ تكون بالبرِّ فيه مُستقلًّا، وادخل فيه بجدٍّ لا يَهمَنَّه فتور واجتهاد ولا ينحو به تقصٌّ وتقوى بعيدة من الفشل، وتقرَّب إلى الله عزَّ اسمه وجلَّ وإِلى أَمير المؤمنين بحُسن العمل، وأَشرف بنفسك على الجوامع وبثقاتك إنْ عرض لك عارض، إشراف يحميها من الاضطراب ويحرسها من الخراب، ويصونها من مجموع الجدال ويَصدُّ عنها أَهل الدناءة والضلال، ويغمرها بالأفاضل والأَخيار، وتعيَّن على فروض الله ﷻ فيها بالليل والنهار، فإنها بيوت الله - سبحانه - يُحبُّ تطهّرها من الدَّنس وتهذيبها من شوائب الرجس والنجس، فقال: قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[(١)].

وراع أَمر المصابيح حتى لا يلحقها اختلال ولا يقع بالاستكثار منها اخلال، فإنَّ فيها أُنْسًا للمتهجدِّين وإرهابًا لمن يطرقها من المفسدين، وابحث عن خفايا

ياقوت الحموي، معجم الأُدباء، ١/ ١٣٠.

(١) سورة التوبة، الآية ١٨.

القُوّام عليها وذوي[١] الخدمة فيها، فمَنْ أَحمدته أَقررته، ومَنْ أَذممته استبدلت به وصرفته، وخُذهم بتنظيفها في كلِّ الأَوقات، وحَذِّرهم مَدَّ الأَيدي إلى ما فيها سائر الآلات فإنَّ المساجد ترفق، وقد أُقيم لهم من الرزق ما أَنت له مُنجز ومُفرِّق، وفيه بلاغ يغنيهم مقنع يكفيهم، وأَوعز إِليهم بتعهُّد ما في خزائنها من الأَجزاء والمصاحف لئلّا يجري عليها أَو على شيءٍ منها آفات المتالف.

ومتى احتاج مُحتاج [ق٥] إلى الدراسة نظرًا أَو شكَّ شاكٌّ فيما يتلوه ظاهرًا آخر جوار إليه فيها ما يلتمسه، وراعوه إلى أَنْ يستغني عنه فردّده[٢] إلى حيث كان فيه وتحرَّزوا من إغفاله وتناسيه. واستطْلِق ما لا بُدَّ منه ولا غنى بهذه المساجد عنه لمن يَسترمّها، وبناء مُستهدَمها وضبط نواحيها، وتجديد ما يَخْلَق[٣] من الآلات فيها، وثمن الماء والرتب لها، وجاري[٤] المؤذنين والمكبِّرين، ليخرج الأَمر في ذلك بما يمتثل ويقدم ولا يهمل، وتسلَّم جرائد المرتزقة[٥] في الجوامع الأربعة واعرضها علهم عرضًا مُستوفًا تامًّا مُستقصًى، لتزول عنك الشُبهة وتكون من صحَّتهم أو سَقَمهم على بَيِّنة، وفي رجوعك في أَمرهم إلى الأَئمة استظهار يُنجيك من دَرَك اللائمة، وارغب الى الله - تعالى - أَولًا وآخرًا في معونتك وتوكَّل عليه - جلَّ اسمه - في إرشادك وهدايتك فإنَّ ذلك أَدعى لك إِلى المحبَّة وأَجدى عليك

---

(١) في الأصل (دوي).

(٢) كذا بالأَصل ولعلها فارددده أو فردَّه.

(٣) يخلق: أي يتلف.

(٤) أجري لهم الأُجور أو الدخل الذي يستحقونه.

(٥) أي الذين يطلبون رزقهم من الفقراء، يقال ارتزق القوم: أخذوا أرزاقهم فهم مُرتَزِقة. الفيومي، المصباح المنير، ١/ ٢٢٥.

في المغبَّة إنْ شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. **وكُتِبَ يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة»**[١]

وهذا العهد يصوّر العناية الفائقة والرعاية البالغة اللتين كانت الدولة الإسلامية تصرفهما إلى بُيوت الله - تعالى - في الشهور كُلِّها فضلًا عن رمضان ولياليه، فهو دستور لمن يريد أَنْ يخدم الإسلام ويجري اَحوال المعابد على النظام.

ومما يذكره تاريخ الأَدب العربي من تأثير ليالي رمضان فيه - أي في الأَدب - أَنَّ أَبا دُلامة زند بن الجون[٢] الشاعر المخضرم بين الدولتين الأَموية والعباسية، كان مع اتصاله بأَبي جعفر المنصور كان مُشتهرًا بالشراب ولسوء حظَّه كارهًا للصلوات[٣]، فأَلزمه المنصور القيام بفرائض العبادات في شهر رمضان المبارك خاصَّة [ق٦] فقال أَبو دلامة: «البليَّة في شهر أَصلح منها في طول الدهر»[٤].

وكان المهدي بن المنصور[٥] يبعث إليه في شهر رمضان في كلِّ ليلة شُرطيًّا يجيئ به إلى المسجد ليُصلِّي ويُسبِّح ويتهجَّد، فصعب ذلك على أَبا دلامة وفزع إلى

---

(١) وضع المؤلف حاشية جاء فيها: رسائل الصابي، نسخة باريس، ورقة ٨٨ - ٨٩.

(٢) هو زند بن الجون مولى بني أسد وكان منقطعًا الى أبي العباس السفاح، شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة، اتصل بالخلفاء العباسيين، مات سنة ١٦١هـ.
ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢/ ٧٦٤.

(٣) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤/ ٣٦. ويرى الأُستاذ شوقي ضيف أنَّ أَبا دلامة (فاسد الدين ومخلًّا بالفروض وهاملًا للصلوات) فهذا فيه مبالغة في الحكم، إذ كان يذهب بذلك إلى الدعابة شأنه في دعاباته الأُخرى التي رواها أبو الفرج الأصفهاني وغيره.

(٤) الشربشي، شرح مقامات الحريري، ٣/ ٤.

(٥) في تحفة الوزراء للثعالبي ص٩٦: (ومن بلغاء الخلفاء وذوي السياسة والتدبير المنصور ثم المهدي).

الخيزران[١] صاحبة المهدي وأكثر أصحاب المهدي ليشفعوا[٢] إليه في الاعفاء من العبادة في رمضان، فلم يجيبهم المهدي إلى طلبهم، لأنَّ الخليفة بحكم خلافته هو الذي يؤدِّب المسلمين ويُقسِرهم على القيام بالعبادات، فقال أبو عبيد الله معاوية الأشعري كاتب المهدي لأبي دلامة: الدّال على الخير كفاعله فكيف شُكرُك؟ قال: أنتم شكر. قال: عليك بريطة[٣] بنت أبي العباس السفاح زوجة المهدي فانه لا يخالفها، فقال أبو دلامة: صدقت والله ثم بعث إليها برُقعة يقول فيها:

أبلغا ريطة أنّي ... كُنتُ عبدًا لأبيها
فمضى يرحمه الله ... وأوصى بي إليها
وأراها نسيتني ... مثل نسيان أخيها
جاء شهر الصوم يمشي ... مشيةً ما أشتهيها
قائدًا لي ليلة القد ... ر كأني أبتغيها
ولقد عِشتُ زمانًا ... في فيافيّ وجيها
في ليالي من شتاء ... كنت شيخًا أشتهيها

(١) كانت جارية مملوكة في أول أمرها، اشتراها المهدي وتزوجها وولدت له موسى الهادي وهارون الرشيد وصارت أُم خليفتين، تدخلت في الحكم في خلافة الهادي حتى منعها من ذلك، توفيت في خلافة ابنها الرشيد سنة ١٧٣هـ.
مصطفى جواد، سيدات البلاط العباسي، ص١٥.

(٢) في الأصل (ليشفوا).

(٣) هي ريطة بنت أبي العباس السفاح وزوجة الخليفة المهدي ولها ولدين هما عبيد الله وعلي وأخبارها قليلة، توفيت في خلافة الرشيد ودفنت بمقابر قريش ببغداد سنة ١٧٠هـ.
مصطفى جواد، سيدات البلاط العباسي، ص٢١.

قاعِـــــدًا أُوقـــــدُ نـــــارًا لضِـــــبابٍ أشـــــتويها

[ق٧]

وصـــــبوح وغبـــــوق في عـــــلابٍ أَحتســـــيها[١]

فلما قرأت ريطة بنت أَبي العباس السفاح هذه الأَبيات ضحكت وأَرسلت إِلى أَبي دلامة بجواب تقول فيه: «اصطبر حتى تمضي ليلة القدر» فأَجابها قائلًا: «إِنِّي يا سيدتي لم أَسأَلك أَنْ تكلِّمي أَمير المؤمنين المهدي في إعفائي من العبادة في العام المقبل وإذا مضت ليلة القدر فقد فني الشهر، وكتب تحت هذا الجواب هذه الأَبيات[٢]:

فلما قرأت الأَبيات وعلمت أَنَّ أَبا دلامة لا يُرجى منه خير ولم يشرح الله قلبه لحبِّ العبادة، ثم دخلت إِلى المهدي وأَنشدته كلّ ما قال من الأَبيات في نكوصه عن العبادة، فضحك[٣] المهدي حتى استلقى ودعا بأَبي دلامة فقال له: قد شفعنا بريطة فيك وأَمرنا لك بسبعة آلاف درهم[٤].

وقبل أَنْ نفضي إِلى صميم الموضوع من ليالي رمضان نعود إِلى ما وقفنا [ق٨] عليه من أَخبار أَهل الخير والمبرّات والإحسان في ليالي رمضان من الخلفاء والأُمراء والأَشراف، فإِنَّ البرَّ في هذا الشهر المبارك والعطف فيه يساويان عشرات أَمثالهما في الشهور الأُخرى، لأَنَّ الفقراء والمساكين وأَهل الحاجة يمنعهم الصوم

(١) الشربشي، شرح مقامات الحريري، ٣/ ١٧٩.

(٢) حذف المؤلف بعض الأبيات.

(٣) في الأصل (فضحكت)، وهو تصحيف من الناسخ.

(٤) مصطفى جواد، سيدات البلاط العباسي، ص٢٣.

عن إتيان أعمالهم المعتادة والكسب المألوف، فتضيق عليهم مسالك العيش وتَعسر عليهم الحياة ويُصيبهم الضرّ. فللبرِّ والإحسان تأثير عظيم جميل كبير على في المجتمع، وكلّ مجتمع كثر فيه البارُّون والمحسنون هو في المجتمعات النشيطة العزيزة الصالحة للحياة الكريمة، والأَمر بالعكس في المجتمعات المتقاطعة ذات الأَنانية والاستئثار، فإنَّ الاستئثار يورثُ التفرُّق، والتفرُّق يوجد الضَّعف، والضَّعف يُسبِّب الذُّل، والذُّل هو الموت المعنوي.

وأَوَّل مَنْ فطَّر جيرانه على طعامه(١) من الأَشراف وجمعهم عليه في شهر رمضان المبارك عُبيد الله بن العباس(٢)، وكان يضع الموائد على الطرق ليأكل منه مَنْ يُريد، وكان الطعام إذا أُخرج من داره فأَنَّه لا يُعاد إليها منه شيء، فإنْ لم يجد أَحدًا يأكله تركه على الطريق(٣). وعُبيد الله بن العباس هذا كان واليًا على اليمن لابن عمِّه الإمام علي عليه السلام وكان جوّادًا واسع الجود(٤).

وممَّن يتشرَّف تاريخ العراق بذكرهم في هذا الباب الوزير بن الوزير أَبو شجاع

---

(١) في العقد الفريد ١/ ٢٤٦: (أجواد الحجاز ثلاثة في عصر واحد: عبيد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص).

(٢) هو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ وأخو عبد الله وكثير والفضل وقثم، ولد في حياة النبي، حدّث عنه ابنه عبد الله وعطاء وابن سيرين، كان أميرًا شريفًا جوّادًا ممدحًا ذكره الواقدي في الطبقة الخامسة من الصحابة، وكان تاجرًا، مات بالمدينة في خلافة يزيد بن معاوية.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٥١٣.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١/ ٢٤٦.

(٤) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ٤/ ٢١.

محمد بن الحسين[١]، الأَديب المؤرخ، وزير الخليفة المقتدي بأَمر الله العباسي، من أَهل القرن الخامس للهجرة، فقد كان هذا الوزير الكبير يُفرِّق ببغداد في ليالي رمضان أَطباقًا فيها لوز وسُكَّر. وحكى حاجبه[٢] الخاص قال: استدعاني ليلةً وقال: «إني أَمرت [ق٩] بعمل قطائف - يعني كاهي - فلمّا حضرت بين يدي ذكرتُ نفوسًا تشتهيها فلا تقدر عليها فنغَّصَ ذلك عليَّ أَكلها ولم أَذُق منها شيئًا، فاحمل صحون القطائف إِلى الفقراء، فحملها الفراشون مع الحاجب وجعل يفرّقها على الفقراء الأَضرّاء[٣] المقيمين في المساجد[٤].

وهذا الوزير الشافعي لم يعرف تاريخ الوزراء المسلمين مثله، أَقول ذلك من غير مبالغة ولا مجازفة، كان يملك قبل الوزارة ستمائة أَلف دينار فأَنفقها كلَّها في الخيرات والمبرّات والصدقات[٥]. وله أَخبار في البرِّ والاحسان والشفقة على الرعية يستغربها العقل أَول وهلة إلّا أَنَّه إِذا فكَّر في أَنَّ الله - تعالى - إِذا أَراد خيرًا بالملَّة بعث فيها مثل هذا الوزير زالت الغَرابة وذهب الاستبعاد.

---

(١) هو محمد بن حسين بن عبد الله أبو شجاع الروذراوي من همذان، قرأ الفقه والعربية وسمع الحديث وصنف الكتب منه كتابه الذي ذيَّله على تجارب الأمم لمسكويه، وزر للخليفة المقتدي بالله، وقف الوقوف وبنى المساجد، مات سنة ٤٨٨هـ ودفن بالبقيع.
ابن الجوزي، المنتظم، ٩/ ٩٠.

(٢) في الأصل (حاجته).

(٣) جمع ضرير، وهم فاقدوا البصر.
الفراهيدي، العين، ٧/ ٧.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ٩/ ٩١.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ٩/ ٩١.

وجرت عادة وزراء الدولة العباسية أَنْ يقدِّموا الطعام في الافطار للأَعيان والأَماثل ويُسمُّون ذلك «الطبق». وممَّن اشتهر بعنايته بطبق رمضان الوزير الخطر عون الدين يحيى بن هبيرة الخيليّ[١] وزير الخليفة المقتفي لأَمر الله العباسي، كان يُنفق على طبقه هذا ما يقارب ثلاثة آلاف دينار أَي أكثر مما كان الوزراء يُنفقون على أَطباقهم، وكان يخلع على كلِّ الحاضرين لطبقه خلعًا سنيَّة[٢].

وولي الوزارة بعد ابن هبيرة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد التميمي البلدي[٣] وكان حازمًا صارمًا عفيفًا، وكان يقدِّم في طبقه الرمضاني في كلِّ ليلة أَلف رطل من الخبز وأَربعمائة رطل من الحلاوة السُكريَّة[٤]. [ق١٠] وكان الرطل يوازن الكيلو تقريبًا.

ومن تاريخ الطبق الأَدبي ما ذكره بعض المؤرخين من أَنَّ سعد بن محمد بن صيفي التميمي الشاعر الفرزدقي النَفَس والنفس الملقَّب بحَيْص بَيْص[٥] كان من

---

(١) هو عون الدين أبي المظفر يحيى بن هبيرة، طلب العلم وهو صغير وحضر مجالس العلماء، تقلَّد الوزارة للخليفة المقتفي بأمر الله، وكان من أفاضل الوزراء وأعيانهم وتدبير الدولة وضبط المملكة، له في قمع السلطة السلجوقية يد قوية وحيل مرضية، صنَّف في العلوم وله أشعار مختلفة، مات وهو ساجد سنة ٥٦٠هـ.

ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٩٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠/ ١٧٧.

(٣) هو شرف الدين أحمد بن محمد التميمي وزير الإمام المستنجد بالله المعروف بابن البلدي، عزل أرباب الدواوين وحاسبهم وعزلهم ونكَّل بهم، قتله أُستاذ الدار أيام خلافة المستنجد بالله سنة ٥٦٠هـ.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠/ ٢٣٥.

(٥) هو سعد بن محمد بن الصيفي التميمي أبو الفوارس، من ولد أكثم بن صيفي، الشاعر المشهور ذو

الأَعيان الذين يحضرون طبق الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة. وكان حيص بيص ذا نفسٍ أَبيَّة وهمَّة عربية، فإذا أُحضر الطبق تخطّاه جماعة من أَصحاب المراتب في الدولة وقعدوا أَرفعَ منه مع خلوِّهم من الفضل والنُبل، فكان بحدِّ ذلك في نفسه مَشَقَّة وغَضاضة، فكتب إِلى الوزير عون الدين بن هبيرة أَبياتًا يستعفيه من الإفطار على طبقه يقول فيها:

يـا بـاذل المـال في عُـدمٍ وفي سَـعَةٍ ... ومُطعـم الـزاد في صُـبحٍ وفي غَسـقِ
وحاشـر النـاس أَغنـتهم فواضـله ... الـى مزيـدٍ مـن النَعمـاء متـدفِّقِ
في كـلِّ بيـتٍ خـوانٍ مـن مكارمـهِ ... يميـرهم وهـو يـدعوهم الـى الطبـقِ
فـاض النـوال فلـولا خـوف منعمـة ... من بأس عدلكَ نـادى النـاس بـالغرق
وكـلّ أرضٍ بهـا صـوب وسـاكبة ... حتى الوغى من نجيع الخيل والعـرقِ
صن منكبي عن زحـام إن غضبت لـه ... تمكن الطعن مـن عقلي ومـن خُلقي
فـإن رضـيت بـه فالـذل منقصـةٌ ... فكـم تكلَّفتـه حَمـلًا فلـم أَطـقِ
أنـا المـريضُ بأحـداثٍ وسـورتها ... ولـيس غيـر آبـائي حـافظٌ رمقـي
وهَبْـهُ لـي كعطايـاك التـي كثـرت ... فـالجودُ بـالعزِّ فـوق الجـود بـالورقِ
إنَّ اصـفرار مجـن الشـمس مـن حـزنٍ ... علـى علاهـا لمرماهـا الـى الأُفـقِ
وإن تـوهَّم قـوم أنـه حمـقٌ ... فربمـا أشـتبه التـوقير بـالحمق[1]

الجزالة والبسالة والأصالة، كان فقيها شافعيًا وتكلّم في مسائل الخلاف ولكن غلب عليه الأدب والشعر، مات ببغداد سنة ٥٧٤هـ.

ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/ ٣٦٥.

(١) ابن خلكان، وفيات الأَعيان، ٦/ ٢٣٥.

[ق١١] ومن أَخبار الطبق الطريفة أَنَّ أَبا عبد الله محمد بن علي الدامغاني[(١)] الحنفي قاضي قضاة الدولة العباسية والنائب عن الوزير غير مرَّة، كان يُوصف بكثرة الأَكل. فحضر ليلة من ليالي رمضان طبق الوزير فخر الدولة محمد بن جُهير[(٢)] وزير الخليفة القائم بأَمر الله ثم المقتدي بأَمر الله، قال بعض الحاضرين معه: فبهرني أَكله حتى جاوز الحدَّ. وكان من عادة الوزير أَنْ يُلاطف المفطرين معه ويُشاغِلهم حتى يأكلوا بانبساط، ولم يكن يرفع يده إلّا بعد الكُلّ. فلما فرغ الناس من الأَكل قُدِّمت إليهم صُحون الحلوى وقُدِّمَ بين يدي قاضي القُضاة أَبي عُبيد الله الدامغاني صحن فيه قطائف بسكَّر - أَي كاهي - وكانت الصحون كبارًا يسع الصحن منها ثلاثين رطلًا، وقد قلنا إنَّ رطلهم يساوي كيلوا تقريبًا، فقال له الوزير ابن جُهير: «هذا الصحن برسمك - يداعبه ويلاطفه - فقال: هلّا أَعلمتموني. ثم أَخذ في أَكله حتى أَتى على آخره[(٣)].

ولكن هذا الإطعام في ليالي رمضان الذي كان الوزراء يفعلونه، كان مقصورًا على الأَماثل والأَعيان وأَرباب الدولة، ولم يكن له أَثر محمود في المجتمع،

---

(١) أبو عبد الله محمد بن علي الدامغاني قاضي القضاة الذي انتهت اليه رئاسة القضاء في العراق على المذهب الحنفي، قدم بغداد وسمع الحديث وبرع في الفقه وأخذ عن القُدوري، ارتفع صيته وعلا ذكره وقد تولت أُسرة الدامغاني القضاء في العراق مدة طويلة، توفي سنة ٤٧٨هـ.
الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨/ ٤٨٥.

(٢) هو محمد بن محمد ابن جهير وزير الخليفة المقتدي بأَمر الله وفوَّض الأُمور إليه ثم عزله، فشفع له نظام الملك وأُعيد للوزارة، ثم جرت عليه أُمور بسبب سلاطين العجم وحبس بباطن دار الخلافة وأُخرج ميتًا من سجنه.
ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٨٦.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٩/ ٢٤.

ولا أَجر وافر عند الله - تعالى - وبقي الأَمر على ذلك حتى صارت الخلافة إلى أَبي العباس أَحمد الناصر لدين الله العباسي وقد كان ناصرًا للدين على الحقيقة لا على التلقيب وحده[١]، فرأى أَنَّ الطبقة الفقيرة من الشعب تحتاج إِلى معونة عامَّة في شهر رمضان.

ثم أَمر في سنة ٦٠٤هـ بإنشاء دور ضيافة لفطور الفقراء في هذا الشهر، في سائر محلات بغداد في الجانب الشرقي والجانب الغربي، فنفَّذ صدر المخزن[٢] [ق١٢] وهو يومئذ كوزير المالية وذلك بأَنَّه سلَّم إِلى ثقة من أَهل كلّ محلَّة ببغداد مقدارًا من الدنانير وأَمر بكتابة أَسماء الفقراء في كلِّ محلَّة وأَنْ يُعطى كلّ فقير في كلِّ يوم رطلين من الخبز الجيد الفائق وقدح طبيخ فيه نصف رطل من لحم الضأن المعروف عندنا بلحم الغنم. فكُتبت في كلِّ محلَّة أَسماء خمسمائة فقير أَو أَكثر أَو أَقلّ. وكانت محلّات بغداد خمسين محلَّة في أَقلّ تقدير تقريبًا، فيكون العدد التقريبي للفقراء (٢٥) أَلفًا، فعمَّت الفقراء هذه الصدقة وانتفعوا بها وفرغ بالهم في هذا الشهر واستراحوا من السعي في تحصيل القوت والاهتمام به. وهذه من صدقات الخليفة الناصر لدين الله سوى ما كان يفرِّقه على طلاب المدارس جميعها وعلى الصوفيَّة في كلِّ التكايا والزوايا، وعلى المنقطعين في الجوامع

(١) لا يفتأ مصطفى جواد على كيل المديح للخليفة الناصر لدين الله في سائر مؤلفاته لشغفه وكلفه بشخصيته كإنسان وخليفة حتى لا تجد مؤلَّفًا من مؤلفاته قد خلا من ذكره بمناسبة أو غير مناسبة.

(٢) صدر المخزن: ويسمّى في بعض المصادر «صاحب المخزن» وهو الشخص المسؤول عن التجهيزات التي تحتاجها الدولة، وهو كوزارة التموين ترصد مصالح الدولة وتخزن لها الذخائر لوقت الحاجة اليها من ملابس وطعام وأرزاق مختلفة.
بدري محمد فهد، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، ص١٢٥.

والمساجد من اللحم والطحين والدنانير. قال المؤرخ ابن الساعي: «فالله تعالى يجعل ذلك نورًا يسعى بين يديه وأَجزل به ثوابه وخفَّفَ حسابه»[١].

وبقيت دور ضيافة رمضان رسمًا من رُسوم الدولة العباسية آخر أَيامها، وكان لأَحوالها وأَوقافها ناظر يُسمّى «ناظر الطبق»، وكان من أَوقافها النهر المستنصري من فروع نهر الدُجَيل[٢]، وهو الذي حفره المستنصر بالله[٣] وبنى هناك أَيضًا القنطرة العظيمة المعروفة بقنطرة حربى بين بغداد وسامرّا.

وفي سنة ٦٣٠هـ على عهد الخليفة المستنصر بالله زيد في دور الضيافة الرمضانية ببغداد داران[٤] اثنتان: إحداهما في دار الخلافة لأَولاد الخلفاء المقيمين في دار الشجرة[٥]، والأُخرى بخربة ابن جردة[٦] وهي محلَّة المهدية

(١) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، ٩/ ٢٣٠.

(٢) دُجَيل: اسم نهر مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية دون سامرّا ويسقي كورة واسعة وبلادًا كثيرة مثل أوانا وعُكبرا وصيرفين، ثم تصب فضلته في دجلة أيضًا.
ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٤٤٣.

(٣) ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الأطلاع على الأمكنة والبقاع، ٢/ ٩٥٣.

(٤) في الأصل (دران).

(٥) هي دار تقع بالدار المعظمة الخليفية ببغداد، من أَبنية الخليفة المقتدر بالله، وكانت دارًا فسيحة ذات بساتين، وسمّيت بذلك لشجرة كانت هناك من الذهب والفضة وسط بركة كبيرة، ثمانية عشر غصنًا لكل غصن منها فروع كثيرة مكلَّلة بأنواع الجواهر على شكل الثمار وعلى أغصانها أنواع الطيور.
ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٤٢١.

(٦) تنسب الى محمد بن أحمد بن الحسن بن جردة، أبو عبد الله البَيِّع، أصله من عُكبرا، ورد بغداد، كان شيخًا لم يُر أحسن منه، كانت داره بباب المراتب ويضرب بها المثل (ت ٤٧٦هـ).

للفقراء [ق١٣] الهاشميين[١].

ومما جاء في التاريخ من أَخبار دور الضيافة الرمضانية أَنَّ الخليفة المستنصر هذا الذي ذكرناه احتاز يومًا من أَيام رمضان قبل غروب الشمس بين محلَّة الحربية ومحلَّة دار القزّ[٢]، وكانت محلَّة دار القزّ بالجانب الغربي من بغداد وراء مقبرة[٣] الشيخ الجنيد، فرأى شيخًا مُسِنًّا ومعه إناء فيه طبيخ قد أَخذه من إناء ضيافة الفقراء التي في محلَّة العتّابيين وكانت قريبة من محلَّة دار القزّ كان متوجهًا [إلى][٤] محلَّة الحربية وكانت في غربي الشالجية، فقال له الخليفة: أَيّها الشيخ لمَ لمْ تأخذ طعامك من دار الضيافة في محلَّتك؟ فلعلَّك تأخذ الطعام من المحلَّتين؟ أَفأَنتَ مُحتاج إلى هذا الحد؟ فقال الشيخ وانحدرت دموعه على خدَّيه ولم يعلم أَنَّ مُخاطبه هو الخليفة المستنصر: لا والله يا سيدي ما أَخذت طعامًا من المحلَّتين ولكني شيخ كبير كان لله عليَّ نعمة فافتقرتُ وذهب المال والولد، وأَنا لوجاهتي وشرفي أستحيي أَنْ آخذ طعام الإفطار مع فقراء محلَّتي، فلذلك أَنا أَمضي إِلى المحلَّة التي لا يعرفني منها أَحد، فآخذ الطعام من دار ضيافتها ثم آتي إِلى محلَّتي الحربية فإذا أَذَّن المؤذِّن ودخل الناس في الصلاة أَسرعت في الدخول إِلى بيتي من غير أَنْ يراني أَحد[٥].

ابن الجوزي، المنتظم، ٨/ ٢٣٦.

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٥١.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٤٢٢.

(٣) في الأصل (قيرة) وهو تحريف من الناسخ.

(٤) سقطت من الأصل.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ١٦٠.

فلمّا سمع المستنصر قوله بكى وأَمر له بأَلف دينار ولكنه لم يَعِش بعد ذلك إلّا عشرين يومًا ومات ولم يُنفق من الأَلف دينار إلّا دينارًا واحدًا، وحُمِلت سائر [ق١٤] [الأَلف دينار][(١)] إلى بيت المال لأَنَّه لم يخلف وارثًا يرثه، فأُعلمَ الخليفة بذلك فقال: «ما أَخرجناه لله تعالى فلا يُعاد إلينا، تصدَّقوا بالدنانير على فقراء أَهل محلَّته ففرَّقوها عليهم»[(٢)].

وفي خلافة المستعصم بالله وهو آخر خلفاء بني العباس بالعراق وهذا شيء معروف - استمرَّ المؤرخون على ذكر أَخبار الضيافة الرمضانية، ففي غرَّة شهر رمضان سنة ٦٤١هـ أَمر الخليفة المستعصم بالله بفتح دار ضيافة رمضانية في المشهد الكاظمي - أَي الكاظمية - لأَجل إفطار العلويين المقيمين هناك. وبفتح دار رابعة بصحن السلام من دار الخلافة العباسية التي كانت في شارع المستنصر الحالي وما حوله وهي لإفطار العباسيين أَيضًا[(٣)]. كما أَمر بتوزيع المال واللحم والطحين في المحتاجين الذين ذكرنا صفتهم وطبقتهم من المجتمع. فعلى هذا تكون عدَّة دور الضيافة الرمضانية التي كانت ببغداد في أَواخر الدولة العباسية (٥٦) دار في أَقلِّ تقدير.

وقد تطوَّرت ليالي رمضان بتطوّر الدول الإسلامية ومرور الأَزمان ولا سلم شيء في الدنيا من التطوّر كما هو معلوم. وأَخذ الناس يتسلَّلون من العبادة الساذجة إلى العبادة الصاخبة من البساطة إلى الافتتان في قضاء ليالي رمضان، إلّا أَنَّه قد ثبت

---

(١) سقطت من الأصل، والإضافة من المصادر.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ١٦٠.

(٣) الملك الأشرف، العسجد المسبوك، ص٥١٨.

عندنا أَنَّ أَكثر الذين اعتادوا تعاطي المسكرات والأَنبذة على أَنواعها كانوا يمتنعون من شربها في أَيام رمضان لما لهذا الشهر من الحُرمة العظيمة والميزة الكبيرة في العبادات الإسلامية، وقد أُثر ذلك في الأَدب العربي - أعني ترك المسكرات في هذا الشهر - فنظم جماعة من الشعراء شعرًا يستثقلون به وطأة هذا الشهر ويستطيلون أَيّامه ويُعلنون سرورهم بشوال، ومنهم مَنْ كان يمدحه لأُمور تتهيَّأُ منه وتصعب في غيره كالوصال والخروج بحُجَّة ليلة القدر، والفاسق يتخذ من كلِّ شيء وسيلة إلى فسقه[١]. وسنذكر إنْ شاء الله شيئًا من ذلكم الشعر.

وكان الناس الذين تعوّدوا إسماع[٢] الغناء، لا ينقطعون في ليالي رمضان عن سماعه فكانوا يختلفون فيها الى دور الغناء والقيان وكانت كثيرة جدًّا فيقضون ساعات من الليل في سماع القيان المحترفات. وقد ذكر بعض الأُدباء أَنه رأى بالبصرة في ليلة من ليالي شهر رمضان أَبا العباس البغدادي[٣] في أَيام حداثته، رآه مملوء الكُمِّ وهو الرِّدن[٤] كما هو [ق١٥] معلوم، وكانت مُغنِّية البصرة المشهورة تسمّى «بدعة» وكانت طيبة الصوت حاذقة بارعة، فقال له الرجل: أَيش في كُمِّك يا أبا العباس؟ فقال: مُخلَّط خراسان أَتَصدَّقه على المغنِّية بدعة صدقة شهر رمضان،

---

(١) ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ٢٠/ ٤٢.

(٢) كذا بالأصل ولعلها (سماع).

(٣) في نشوار المحاضرة ١/ ١٩٧: (وكان عندنا بالبصرة دلّال من أهلها يُعرف بأبي العباس البغدادي، ورث في حداثته مالًا جليلًا، فتقاين بجميعه، فلما افتقر صار دلّالًا، فكسب أيضًا كسبًا ثانيًا كبيرًا، بل ينفقه كلّه في الفساد).

(٤) يستخدم المؤلف أحيانًا اللهجة العاميَّة العراقية لبعض المفردات لتقريب المعنى للناس لأنه يكتب لعموم المجتمع وليس للمثقفين فقط.

فلم يشك الرجل في أَنَّه مخلَّط خراسان[١]. والمخلَّط هو الفاكهة اليابسة من كلِّ جنس مخلوطًا بعضها ببعض، ولا يزال معروفًا عندنا في العراق بالمخلَّط.

نعود إِلى إتمام الحكاية، فقال الرجل لأَبي العباس البغدادي: فأَطعمني من المخلَّط، فطرح في كُمِّه شيئًا ثقَّل به الكُم وافترقا، فلما بلغ الرجل بيته أَراد أَنْ يُطعم عياله من المخلَّط فنظر إليه فإذا هو لوز من ذهب وسُكَّر من فضة وفستق وبندق من العنبر وزبيب من النَّدُ[٢]، فسأل في الغد عن قيمة ذلك فكانت القيمة عظيمة، فذهب إلى أَبي العباس البغدادي وردَّه عليه فقال أبو العباس: يا بارد أَيش هذا مما تردَّه؟ جميع ما كان في كُمّي البارحة - أي الليلة الماضية - فرَّقته على بدعة المغنية وجواريها، أَفظننت أَنّي على الحقيقة أَحمل إليها لوزًا وسُكَّرًا وزبيبًا وفستقًا[٣]. وكانت هذه الحادثة في أَواسط القرن الرابع للهجرة[٤].

وقال علي بن الشابشتي في كتاب «الديارات» وهو من أَهل القرن الرابع أَيضًا: كنا نحضر مجالس أَبي علي محمد بن الحسين بن جهور العمي بالبصرة فيملي أَخبار أَهل البيت - عليهم السلام - وغيرها فإذا فرغ من الإملاء ابتدأت جواريه فقرأنَ القرآن بالأَلحان ثم أَنشدن القصائد الزهديات، فإذا فَرغنَ من ذلك انصرف

---

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، ١/ ١٩٧.

(٢) الند: هو الطيب المعروف والمخلوط من المسك والكافور، وقال الجوهري وابن فارس هو ليس بعربي.

محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ٣/ ٤٠٧.

(٣) التنوخي، نشوار المحاضرة، ١/ ٩٩.

(٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ١/ ١٩٨.

مَنْ انصرف واحتبس عنده [ق١٦] جماعة ممن يأنس بهم وابتدأَ الغناء وغيره[١].

وكان الصوفية في شهر رمضان لا ينقطعون عن إقامة سماعهم وهو مجلس غنائهم، فيُنشد القوّال الشعر الغزلي والنَّسيب[٢] والتَّشبيب، والشَّبابة تصفر والدفُّ يرتعد. وبقي من آثار أَلحانهم لحن السماعي المعروف بين الأَلحان المشهور «بالتواشيح الدينية»، والقوّال هو المغنِّي عند الصوفية. ولا يزال الزيدية يُسمّون الذي يُنشدهم الأَناشيد الدينية في الحفلات والزيارات ودفن الأَموات بالقوّال[٣].

وكان الناس يجدون صعوبة في الاستيقاظ للتسحُّر وخصوصًا الذين يملؤون بطونهم من أَنواع الأَطعمة، فتصعد أَبخرة المعدة إِلى رؤوسهم وينامون نومًا ثقيلًا، فأنشأَت الحاجة إِلى الاستيقاظ طبقة من المغنين المنشدين في ليالي رمضان، وهم الذين سمّاهم الناس «المسَحِّرين»، ومن الناس مَنْ يُسمِّيهم «المزكلشين» لأَنهم يُزكّلِشون في الأَسواق - أي يُنشدون الأَشعار بتلحين[٤].

وكانوا يُوقِضون الناس للتسحُّر واخترعوا ضربًا من الشعر العامِّي اسمه

---

(١) الديارات، ص٦٥.

(٢) النَّسيب: هو ذكر خلق النساء وأَخلاقهنَّ، وتصرُّف أَحوال الهوى به معهنَّ، وجرى عُرف الناس أَنه مُرادف للغزل ولكنه ليس كذلك، لأَنَّ النسيب هو ما كثرت فيه الأَدلة على التهالك في الصبابة وتظاهرت فيه الشواهد على الافراط في الوجد واللوعة، وأَول من شبَّب بالنساء في شعره هو امرؤ القيس بإجماع الرواة.

مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ص١١١

(٣) صدِّيق الدملوجي، الزيدية، ص٥١.

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٩/ ٢٤.

«القوما»[١] لأَنَّهم كانوا يُغنُّون في ليالي رمضان ويقولون: «قومًا تَسَحَّر قومًا»[٢]. وهو الذي قال فيه ابن الأَثير نصر الله في كتابه «المثل السائر»[٣] قال: «وبلغني أنَّ قومًا ببغداد من رعاع العامَّة يطوفون بالليل في شهر رمضان على الحارات ويُنادون بالسحور ويخرجون ذلك الكلام موزون على هيئة الشعر ولم يكن من بحار [ق١٧] الشعر المنقولة عن العرب، وسمعت منه شيئًا فوجدت فيه معاني حسنة مليحة ومعاني غريبة وإنْ لم تكن الأَلفاظ التي صيغت به صنيعة[٤] أَو ضعيفة. ومن هذا النظم العراقي الرمضاني قول بعضهم:

لا زال سـعدك جديـدُ ... دائـمُ وجـدّك سـعيد
ولا برحـت مُهنئًـا ... بكـلِّ صـومٍ وعيـد
في الـدهر أَنـت الفريـد ... وفي صـفاتك وحيـد
والخلـق شـعر مـنقح ... وأَنـت بيـت القصـيد[٥]

(١) القوما: قيل إنَّ أول من اخترعه هو ابن نقطة برسم الخليفة الناصر لدين الله واشتهر بزمنه، وأهل بغداد هم من اخترعه لأنهم كانوا ينشدونه عند السحور في رمضان، وسمّي بذلك من قول المغنين (قوما نسحّر قوما) وجعلوه على وزن هذه الكلمات ثم فرعوا منه فروعاً دعوها الزهري والخمري.
الرافعي، تاريخ آداب العرب، ٣/ ١٧٧.

(٢) لمصطفى جواد مقال بعنوان (الشعر العراقي العامّي القديم، المواليا، الكان وكان، القوما، الدوبيت، الزجل). منشور في مجلة التراث الشعبي، العدد ١، بغداد، ١٩٦٣م، ص ٢٦ – ٣١.

(٣) ص٨٩.

(٤) ابن الأثير، المثل السائر، ص٣٠.

(٥) الأبشيهي، المستطرف في كلِّ فنٍّ مُستظرف، ص٤٥٦.

ليالي رمضان في العصور الإسلامية[١]

وممن اشتهر في القرن السادس من المسمرين المغنين في ليالي رمضان أَبو منصور بن نقطة المزكلش الخفّاف[٢] المتوفى سنة «٥٩٧هـ» ببغداد. قيل انه كان معروفًا قبله ولكنه برع فيه ونال عطف الخليفة النصر لدين الله، وكان يوقظه للسحور في ليالي رمضان[٣]. ويشتغل بالنهار بصنع خِفاف النساء - أي المداسات -.

وفي الحقِّ أَنَّ الأَدب والغناء لم يجدا سبيلًا إلى الوغول[٤] في ليالي رمضان غير ذلك السبيل المتصل بالدين بعض الاتصال، وإنما كان الشعر يجيش بحرهُ ويطرعُ بشهرهِ ينفتحُ زهرهُ في العيد التالي لشهر رمضان وهو عيد الفطر وفي غيره من الأَعياد، فلذلك كان من النادر ارتجال ابن التعاويذي[٥] الشاعر [ق١٨] أَبياتًا في

(١) كذا بالأصل، كرر المؤلف أو الناسخ العنوان.

(٢) هو محمد بن عبد الغني الحنبلي، له الذيل على الإكمال لابن ماكولا وكتاب التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد وغيرها، توفي سنة ٤٢٩هـ.
ابن سعيد المغربي، المقتطف من أزاهر الطرف، ص١٠؛ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ٥/ ٣١٢.

(٣) الأبشيهي، المستطرف، ص٤٥٦.

(٤) الوغول: هو الدخول في الشيء، وكل داخل فهو واغل.
ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٧٣٣.

(٥) هو محمد بن عبيد الله أبو الفتح الكاتب ابن التعاويذي الشاعر وهو سبط الزاهد، كان أبوه مولى لبني المظفر واسمه نشتكين، فسمّاه ابنه عبيد الله، شاعر مُجيد حسن النظم وله ديوان شعر،

ليلة نصف رمضان يمدح بها أَبا الفتوح عبد الله ابن عضد الدين الوزير من بني رئيس الرؤساء وهي:

يـا مـن إذا ضـقت الأيـام جـائزة ... عـمَّ البريَّـة إسـعافًا وإنصـافا

ومـن أَمنـت منـه دهـري وحادثـه ... ولسـت أَخشـاه إنْ داجـى وإنْ صـافى

تعطي الألوف إذا الجعد اليدين غدا ... يُعطـي الـدراهم أَثلاثـا وأَنصـافا

لا زلـت تُبلـى جديـد الـدهر مُغتبطًـا ... صـومًا وفطـرًا وأعيـادًا وأنصـاف[1]

ولعلَّ مَنْ يتصفَّح دواوين الشعراء الإسلاميين المتأخِّرين يجد شعرًا من هذا الباب أَي التهنئة بشهر رمضان نفسه لا بعيدة عيد الفطر، إلّا أَنَّ أَثر رمضان الأَدبي الظاهر هو ما أَشرنا إليه في الحديث السابق من استثقال[2] جماعة من الشعراء وطأَة هذا الشهر المبارك واستطالتهم أَيامه وإعلانهم سرورهم بحلول شوال، ومن فرح فُسّاقهم به لنيلهم فيه ما لم ينالوه في غيره، ومن ذلك قول الحارثي الشاعر وهو الذي تُنسب إِليه قصيدة «إذا المرء لم يدنس من اللوام عرضة».

شـهر الصـيام وإنْ عظمـت حُرمتـه ... شـهرٌ طويـلٌ بطـيء السـير والحركـه

يمشـي الهوينـاء اذا مـا رام فرقتنـا ... كأَنَّـه بطَّـة تنجـرُّ فـي شـبكه

لا يسـتمر فأَمـا حـين يطلبنـا ... فـلا سُـلَّيْكَ يُدانيـهِ ولا سُلَّكَـه

ومدح السلطان صلاح الدين الأيوبي، توفي سنة (٥٨٤هـ) ودفن بباب أبرز ببغداد.

العمري الخطيب، الدرّ المكنون في المآثر الماضية من القرون، الورقة ٢٠٣أ.

(١) ديوان سبط ابن التعاويذي، ص٢٩٤.

(٢) مكررة.

كأَنَّــه طالــبُ ثــأرًا علــى فــرس[١] أَجِـدُّ في إثـرِ مَطلـوبٍ علـى رَمكـه[٢]

والرمكة هي الكديشة. [ق١٩]

يــا صــدق مــن قــال أَيــامٌ مُباركــةٌ إنْ كــان يكنــى عــن اســم الطــول[٣]

نُسِبَ[٤] إلى الفرزدق[٥] أَنَّه قاله[٦] ولا أَضنَّه صَحيحًا.

إذا مـا مضـى عشـرون يومًـا تحرَّكـت أَراجيـفُ بالشـهر الـذي أَنـا صـائمه

وطــارت رقــاع بالمواعيــد بيننــا لكــي يلتقي مظلـومُ قـومٍ وظالمـه[٧]

وقال غيره:

أَقــول لصــاحبيَّ وقــد بــدا لــي هـلال الفطـر مـن تحـت الغَمـام[٨]

---

(١) في الأصل (كأنه طالبه ثأرًا علم فرسه). والتصحيح من المصادر.

(٢) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ٢/ ٢٣٥. والشعر لابن الرومي من بحر البسيط.

(٣) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ٢/ ٢٣٥؛ الراغب الأصفهاني، محاضرات الأُدباء، ٢/ ٤٧٦.

(٤) في الأصل (نسيب) وهو تصحيف.

(٥) هو همّام بن غالب بن صعصعة التميمي الشاعر المشهور والفرزدق لقب له بسبب غلظه وقصره، كان أبوه سيد بادية تميم، وكان جدَّه صعصعة عظيم القدر في الجاهلية واشترى ثلاثين موؤودة حتى جاء الاسلام وأعلن إسلامه أمام النبي ﷺ، وكان بينه وبين جرير مهاجاة ونقائض، مات سنة ١١٠هـ.

ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٤٦٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦/ ٨٦.

(٦) في الأصل (قال). وهو تصحيف.

(٧) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ٢/ ٢٣٤.

(٨) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ٢/ ٢٣٥.

وقال آخر:

مضـــى رمضـــان محمـــودًا وأوفى ... علينـــا الفطـــر يقدمـــه الســـرور
وفي مـــرِّ الشـــهور لنـــا فنـــاءٌ ... ونحـــن نحـــب أن نُفنـــي الشُـــهور[١]

وقال علي بن جبلة المعروف بالعكوك يمدح بعض بني عجل:

شـــربت ورويـــت النـــديم بمالـــه ... وأدركـــت ثـــأر الـــراح مـــن رمضـــان
وكـــان لشـــوال علـــيَّ ضـــمانة ... فكانـــت عطايـــا جـــوده بضـــمان[٢]

وأَسلم أعرابيٌّ[٣] في أَول الإسلام فأَدركه شهر رمضان فجاع وعطش فقال:

وجـــدنا ديـــنكم ســـهلًا علينـــا ... شـــرائعه ســـوى شـــهر الصـــيام[٤]

وقال الفاسق علي بن بسّام الشاعر الهازل الهجّاء:

ســـقيا لشـــهر الصـــوم مـــن شـــهر ... عنـــدي لـــه مـــا شـــاء مـــن شـــكرِ
كـــم مـــن عزيـــز فيـــه فزنـــا بـــه ... أنهضـــهُ الليـــلُ مـــن الـــوكرِ
ومـــن إِمـــامٍ كـــان لـــي وصـــلهُ ... إِلـــى كَحيـــلِ العـــينِ بالســـحرِ
وخلّـــةٌ زارتـــكَ مُشـــتاقةٌ ... في ليلـــةِ القـــدرِ علـــى قـــدرِ
فانصـــرفَ النَّـــاسُ بمـــا أَمَلُّـــوا ... وبـــؤتُ بالآثـــامِ والـــوِزرِ[٥]

---

(١) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ٢/ ٢٣٥.

(٢) في الأصل (بضحاك) والتصحيح من المصادر. والخبر في ديوان المعاني، ٢/ ٢٣٦.

(٣) في المصادر وردت: (مجوسي).

(٤) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢/ ٤٧٥.

(٥) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ٢/ ٢٣٤.

وكانت ليالي رمضان من ليالي الأَدب في السنة، تؤثر فيها الآثار وتُنشد فيها الأَشعار. قال قاضي قُضاة الشافعية شمس الدين ابن خلكان: أَنشدني الأَديب شهاب الدين المعروف بابن التلعفري[١] لنفسه في بعض ليالي شهر رمضان بالقاهرة وهو من شعراء العصر المجيدين:

يا شيب كيف وما انقضى زمن الصبا عاجلت مني اللمة السوداء
لا تعجلنَّ فوالذي جعل الدجى من ليل طرَّتي البهيم ضياء
لو أنها يوم الحساب صحيفتي ما سَرَّ قلبي كونها بيضاء[٢]

قال ابن خلكان فقلت له: قد أَغرت على بيت نجم الدين بن صابر حتى إِنَّك قد أَخذت معظم لفظه وجميع معناه والوزن والروي لابن صابر وهو قوله:

لو أنَّ لحية من يشيب صحيفة لمعاده ما اختارها بيضاء[٣]

فحلف ابن التلعفري أَنَّه لم يسمع هذا البيت إِلّا بعد نظمه الأَبيات المذكورة.

نجم الدين بن صابر هذا هو أَبو يوسف يعقوب بن صابر المنجنيقي الحرّاني ثم البغدادي. كان مُقدَّم المنجنيقيين في الدولة العباسية وهم كالمدفعيين [ق٢٠] في زماننا وكان أَيضًا شاعرًا بارعًا[٤]، ومن شعره يصف الذين يمدحهم بأَنهم

---

(١) هو شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سالم الشيباني الموصلي، الأديب كان حافظا للشعر وأيام العرب، صاحب الديوان المشهور، مدح الملوك والأمراء والأعيان وسار شعره بالآفاق، توفي سنة ٦٧٥هـ.
ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٧/ ٦٠٩.

(٢) وفيات الأعيان، ٧/ ٤٠.

(٣) وفيات الأعيان، ٧/ ٤٠.

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٨/ ١٠٨.

كالحيطان الذين يضربها بالمنجنيق:

كلفت بعلم المنجنيق ورميه ... لهدم الصياصي وافتتاح المرابط

وعُدت إلى نظم القريض لشقوتي ... فلم أَخل في الحالين من قصد

(١).

وقال في جماعة من الصوفية أَضافهم فأَكلوا جميع ما قدَّمه لهم، فكتب إِلى شيخهم أَبياتًا يذكر فيها حاله معهم وهي:

مولاي يا شيخ الرباط الذي ... أَبان عن فضلٍ وعلياء

إليك أَشكو جوع صوفية ... باتوا ضيوفي

(١) وفيات الأعيان، ٧/ ٢٧.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولًا: المخطوطات

- العمري، ياسين بن خير الله الخطيب الموصلي (ت ١٢٣٦هـ).

١- الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون، مشروع تحقيق لطلبة الماجستير: استبرق حسين، نور خالد، محمد صبحي، هند باسل_كلية التربية/ الجامعة العراقية.

أولًا: المصادر الأولية

- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ).

١- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، القاهرة.

- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ).

٢- المستطرف في كل فن مستظرف، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩م.

- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني (ت ٦٣٧هـ).

٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ.

- ابن الأثير، عز الدين محمد بن أبي الكرم الجزري الشيباني (ت ٦٣٠هـ).

٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م.

- الأزهري، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ).

٥- تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين المرواني الأموي، (ت ٣٥٦هـ).

٦- الأغاني، تحقيق: علي مهنا، دار الفكر، بيروت، بلات.

- التنوخي، المحسن بن علي البصري (ت ٣٨٤هـ).

٧- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: مصطفى حسين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ).

٨- خاص الخاص، دار ومكتبة الحياة، بيروت، بلا ت.

٩- تحفة الوزراء، تحقيق: حبيب الراوي وابتسام الصفار، ط٢، شركة العاتك، القاهرة، ٢٠٠٦م.

- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ).

١٠- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ط١، دار صادر، بيروت، بلات.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ).

١١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت.

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ).

١٢- تاريخ بغداد، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بلات.

- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المفضل (ت ٥٠٢هـ).

١٣- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم، بيروت، ١٩٩٩م.

- ابن الساعي، تاج الدين ابو طالب علي بن أنجب (ت ٦٧٤هـ).

١٤- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق: مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، ١٩٣٤م.

- ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي (ت ٦٨٥هـ).

١٥- المقتطف من أزهار الطرف، نشر شركة الأمل، القاهرة، ١٤٢٥هـ.

- السبط التعاويذي، محمد بن عبيد أبو الفتح (ت ٥٨٣هـ).

١٦- ديوانه، تحقيق: يوسف يعقوب مسكوني، ط١، طبعة بغداد، ١٩٥٩م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).

١٧- تاريخ الخلفاء، ط١، مكتبة الرباط، بغداد، ٢٠٠٧م.

- الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ).

١٨- الديارات، تعليق: كوركيس عواد، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٦م.

- الشربشتي، أحمد بن عبد المؤمن بن موسى (ت ٦١٩هـ).

١٩- شرح مقامات الحريري، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦هـ.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ).

٢٠- سير أعلام النبلاء، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

- المبرد، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ).

٢١- الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.

- الملك الأشرف الغساني.

٢٢- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود، دار البيان، بغداد، ١٩٧٥م.

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ).

٢٣- امتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي (ت ٧١١هـ).

٢٤- لسان العرب، مكتبة المعارف، القاهرة، دت.

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ).

٢٥- العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.

- ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن شمائل القطيعي (ت ٧٣٩هـ).

٢٦- مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ).

٢٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦م.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ).

٢٨- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ).

٢٩- الفخري في الآداب السلطانية، ط١، دار القلم العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ).

٣٠- كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة.

- ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق بن احمد (ت ٧٢٣هـ).

٣١- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في أخبار المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

- الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد الحموي (ت ٧٧٠هـ).

٣٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، بلات.

-ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ).

٣٣- الشعر والشعراء، دار الحدث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

- ابن كثير، أبو الفدا اسماعيل بن عمر القريشي (ت ٧٧٤هـ).

٣٤- البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٨م.

- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ).

٣٥- ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، بلات.

- النويري، أحمد بن عبد الوهاب القرشي (ت ٧٣٣هـ).

٣٦- نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣م.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ).

٣٧- معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٨- معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

ثانيًا: المراجع الثانوية

- جواد، مصطفى.

٣٩- سيدات البلاط العباسي، دار الكتاب العربي، بغداد، بلات.

- ضيف، شوقي.

٤٠- تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥م.

- الرافعي، مصطفى صادق.

٤١- تاريخ آداب العرب، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٤م.

- عبد الرحمن، محمود.

٤٢- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، القاهرة.

- فهد، بدري محمد.

٤٣- تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٢م.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
المبحث الأَوَّل: التعريف بالكتاب ونسبته إِلى المؤلِّف..... ٩
وصف الكتاب وسبب تأليفه..... ١٠
منهج المؤلف في الكتاب ١١
منهجي في التحقيق ١٣
المبحث الثاني: النص المحقق..... ١٧
ليالي رمضان في العصور الإسلامية..... ٣٩
المصادر والمراجع..... ٤٥
فهرس الموضوعات ٥٣